

إشكالية التراث في النقد الثقافي المعاصر (دراسة مقارنة)

The Heritage Problem in Contemporary Arab Cultural Criticism

(Approach approach)

المؤلف الأول	المعطيات
فاطمة جرمانى	الاسم واللقب
دكتور	الدرجة العلمية
مخبر تطوير للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية- جامعة سعيدة	مخبر الانتماء
جامعة دكتور مولاي الطاهر- سعيدة	جامعة الانتماء
الجزائر	البلد
fatimadjermani@gmail.com	البريد الإلكتروني
جرمانى فاطمة fatimadjermani@gmail.com	الاسم واللقب والبريد الإلكتروني للمؤلف المرسل
الملخص باللغة العربية	
المخلص تهدف هذه الدراسة لمعالجة إشكالية التراث في النقد الثقافي المعاصر، وهذا من خلال دراسة مقارنة تجمع بين اتجاهين مختلفين، لكل واحد منهما رؤيته لمفهوم التراث وأهم محاوره وميادينه، وهذا الاختلاف يُبرز لنا تصور واضح وجلي يكمن في التصور النقدي الذي يركز بالدرجة الأولى على النقد الذي يجمع في طياته التفكير والتجديد، بمعنى أن التيار الذي يشيد بمبدأ التفكير في دراسة التراث يسعى إلى تفكيك وتشطير مكونات التراث فهو يمثل النزعة التشطيرية (انتقائية) تركز على أخذ واعتمد الجزء المفيد من تراث والاستغناء عن الجزء الآخر، في حين يسعى أصحاب تيار التجديد إلى مواكبة كل ما هو حديث من خلال الاحتكاك بالثقافة الغربية.	
الكلمات المفتاحية:	التراث؛ الثقافة العربية؛ النقد، التجديد.
الملخص باللغة الأجنبية	
ABSTRACT:	This study aims to address the problem of heritage in contemporary cultural criticism, and this is through a comparative study that combines two different directions, each of which has its

	vision of the concept of heritage and its most important axes and fields. It includes dismantling and renewal, meaning that the current that praises the principle of deconstruction in the study of heritage seeks to dismantle and split the components of heritage. What is modern through contact with Western culture.
Key Words:	Heritage ; Arab culture; criticism; renewal.

1. مقدمة:

تعد إشكالية التراث في النقد الثقافي العربي المعاصر، من المواضيع التي لقيت اهتماماً لدى المفكرين العرب، ويتضح هذا من خلال المقاربات المختلفة والمتعددة، والتي ظهرت في شكل مشاريع عربية معاصرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر (مشروع نقد العقل العربي لمحمد عابد الجابري، نقد العقل الإسلامي لمحمد أركون، حسن حنفي، طه عبد الرحمان، الطيب تزيي، جورج طرابيشي وغيرهم من المفكرين، إلا أن لكل مفكر قراءته الخاصة لإشكالية التراث، ولهذا تطرقنا لموضوع التراث من خلال دراسة مقارنة لإشكالية التراث عند حسن حنفي من خلال مؤلفه "التراث والتجديد"، بالإضافة إلى إشكالية التراث عند جورج طرابيشي استناداً لمؤلفاته التي ناقش فيها هذه الإشكالية بشكل مفصل أبرزها "مذبحة التراث في الثقافة العربية"، و"من النهضة إلى الردة تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة"، و"هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحدائق والممانعة العربية" و"المثقفون العرب والتراث" و"المرض بالغرب"، والهدف من هذا إعطاء مقارنة فكرية للتراث عند كلا المؤلفين على رغم من اختلافهما، وهذا ما يجعلنا نطرح الإشكال التالي: ما هي الأسس التي يقوم عليه التراث عند حسن حنفي وجورج طرابيشي؟.

2 - مفهوم التراث:

التراث heritage: كلمة تراث لغة، حسب معجم المعاني هي "الإراث وجذرهما الفعل الثلاثي تَرَثَ، فمن ترك ثراثاً، تَرَكَ إراثاً ينتقل من جيل إلى جيل، ويقال: وَرَثَ يَرِثُ وَرَثَةً أو إراثاً أو ثراثاً" (مفهوم التراث أنظر الرابط التالي: <https://sotor.com/2020/01/22/>)، وكلمة تراث في المعاجم العربية تدل على صيغ مختلفة، بمعنى ما يورث، فلقد جاءت كلمة الوراث في لسان العرب لابن منظور، وهي "صفة من صفات الله عز وجل، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم، ويقال ورثت فلاناً مالا أرثته ورثا وورثا إذا مات مورثك فصار ميراثه لك" (ابن منظور، د.ت، ص 269)، كما جاءت كلمة ميراث في قاموس تاج اللغة والصحاح العربية، بمعنى أن "الميراث أصله موراث، انقلبت الواو إلى ياء لكسر ما قبلها والتراث أصل التاء فيه واو" (الجوهري، 1999، ص 437)، ولهذا فكلمة تراث في المعاجم العربية ترادف كلمات الميراث، الوراث، الإراث، وهو كل ما يخلفه الفرد من إراث معنوي أو مادي.

اصطلاحاً: التراث هو "الموروث الثقافي والديني والفكري والأدبي والفني، وكل ما يتصل بالحضارة أو الثقافة، وتراثنا هو الموروث عن السلف سواء كانوا ممن يقطنون نفس المنطقة أو غيرها؛ أي أن تراثنا هو الموروث في

كل أنحاء العالم، القصص، الحكايات والكتابات وتاريخ الأشخاص وما ظهر من قيم وما عبر عنها جميعاً من عادات أو تقاليد أو طقوس" (رمضان الصباح، ، 2002، ص 368).

3- نماذج من إشكالية التراث في النقد الثقافي العربي المعاصر:

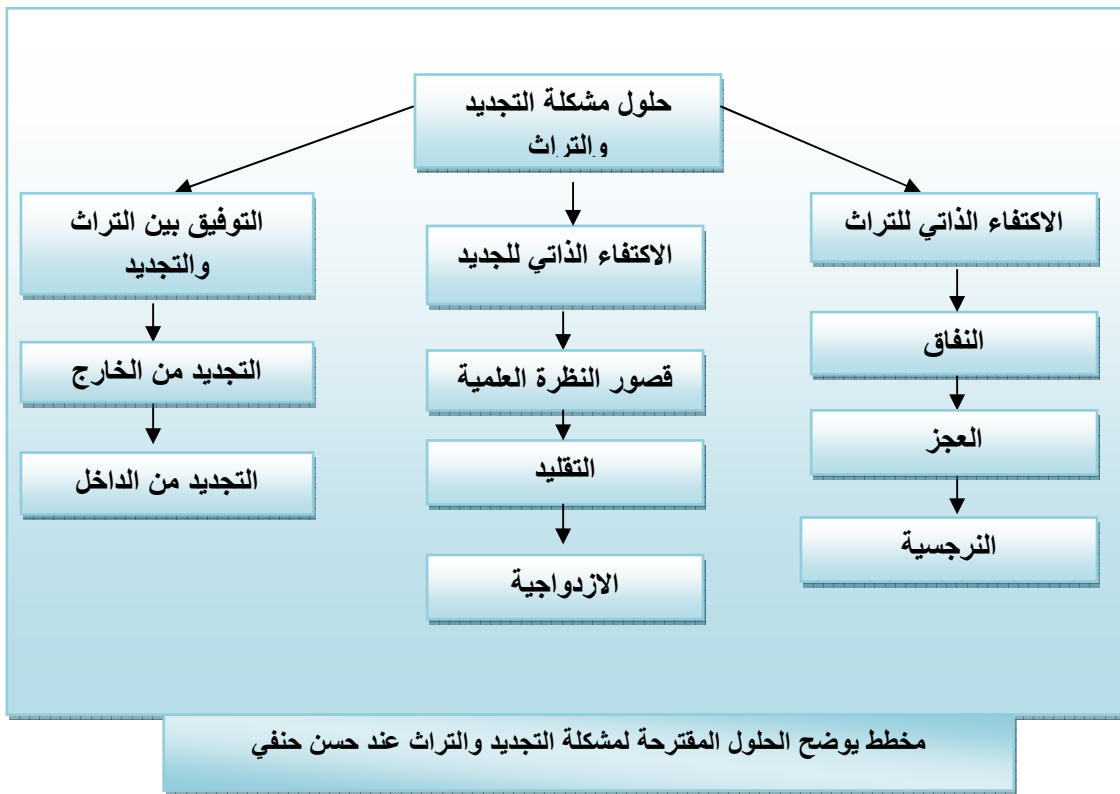
1.3. إشكالية التراث عند حسن حنفي:

يشير حسن حنفي إلى إشكالية التراث في كتابه "التراث والتجديد- موقفنا من التراث القديم"، فيقول إن "التراث هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة، فهو إذن قضية موروث وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على عديد من المستويات" (حسن حنفي، 1992، ص 13)، ولهذا يعتبر حسن حنفي أن الإشكال هنا ليس تجديد التراث، وإنما السعي للمحافظة على استمرار الثقافة الوطنية وتأسيس الحاضر ودفعه نحو التقدم، فيقول "التراث هو نقطة البداية كمسؤولية ثقافية وقومية، والتجديد هو إعادة تفسير التراث طبقاً لحاجات العصر" (حسن حنفي، 1992، ص 13)؛ ولهذا يعتبر حسن حنفي أن أهمية التجديد تكمن في مساهمته في تطوير الواقع وحل مشكلاته؛ وهنا يبين لنا أن التراث ليس متحفاً للأفكار نفخر بها وننظر إليها بإعجاب، بل يعتبره نظرية للعمل؛ بمعنى أنه "ذخيرة قومية يمكن اكتشافها واستغلالها واستثمارها من أجل إعادة بناء الإنسان وعلاقته بالأرض" (حسن حنفي، 1992، ص 13).

2.3- ميادين التراث والتجديد عند حسن حنفي:

1- تحليل الموروث القديم وظروف نشأته ومعرفة مساره في الشعور الحضاري.
2- تحليل الأبنية النفسية للجماهير وإلى أي حد هي ناتجة عن الموروث القديم أو من الأوضاع الاجتماعية الحالية.

3- تحليل أبنية الواقع إلى أي حد هي ناشئة من الواقع ذاته ودرجة تطوره أم أنها ناشئة من الأبنية النفسية للجماهير، الناشئة بدورها عن الموروث القديم (حسن حنفي، 1992، ص 27). ولهذا يشير حسن حنفي إلى أن مهمة التجديد لا تقع على عاتق فرد واحد؛ بل هي مهمة طليعة المثقفين وجمهور الباحثين نظراً لتعدد جوانب التراث وحاجته إلى باحثين متخصصين، كل في ميدانه.



3.3. حلول المقترحة لمشكلة التراث والتجديد عند حسن حنفي:

يرى حسن حنفي أن هناك ثلاث حلول تتنازع لحل مشكلة التراث والتجديد نوردتها على النحو التالي (حسن حنفي، 1992، ص 27):

1/- الاكتفاء الذاتي للتراث: ويعني أن تراثنا القديم حوى كل شيء مما مضى أو مما هو آت. وهو فخرنا وعزنا، وتراث الآباء والأجداد؛ ولهذا يؤكد حسن حنفي أنه علينا الرجوع إلى تراثنا القديم؛ لأن فيه حل لجميع مشاكلنا الحاضرة. فلا يتقدم الحاضر إلا بالرجوع إلى الماضي، كما يبين حسن حنفي أن الاعتزاز بالماضي هو استسلام للزعة الخطابية السائدة في عصرنا، والتي تغطي الواقع، كما يوضح أن الاكتفاء الذاتي للتراث يكشف عن:

- 1.1: النفاق: أي أن أصحاب هذه الدعوة لا يؤمنون بشيء ولا يبغيون إلا لمحافظة على مصالحهم الخاصة.
- 2.1: العجز: أي أن أصحاب هذه الدعوة يشكلون فئة من طيفليات المجتمع المتخلف في نظر حسن حنفي؛ لأنها تعيش عليه وتستمد وجودها من وجوده؛ بمعنى أن هذا الوضع استغله الحكم السياسي السائد من أجل إضفاء الشرعية على نفسه وتبرير وجوده أمام الجماهير.
- 3.1: الترجسية: كما يوضح حسن حنفي أن هذا الموقف تنقصه الموضوعية ويكشف عن ذاتية فارغة خالية من أي مضمون؛ لأنه موقف نرجسي لا يرى فيه الإنسان أبعد من مصالحه الخاصة.

2/- الاكتفاء الذاتي للجدید: ويعني أن التراث القديم لا قيمة له كغاية أو وسيلة، ولا يحتوي على أي عنصر من عناصر التقدم، وبأنه جزء من تاريخ التخلف أو أحد مظاهره، وأن الارتباط به نوع من الاغتراب ونقص في الشجاعة، وتخل عن الموقف الجذري ونسيان للبناء الاجتماعي؛ وهنا يشير حسن حنفي إلى أن هذا الموقف يكشف عن (حسن حنفي، 1992، ص 27):

1.2: قصور النظرة العلمية: أي أن التراث جزء من المخزون النفسي للمعاصرين. فهو إحدى مكونات الواقع كالعادات والتقاليد والأمثلة الشعبية، وهذه الأمور لا تلغي أو تسقط من الحساب بل تستخدم ويعاد صياغتها؛ بمعنى تطوير الموجود دون نظر إلى التكاليف أو الوقت أو الجهد.

2.2: التقليد: أي أن هذا الموقف يخاطر حسب نظر حسن حنفي بالوقوع في التقليد، وذلك من خلال استعارة التجارب السابقة، والوقوع في العمومية ونسيان الخصوصية، وهذا التقليد قد يصل إلى حد الخيانة للواقع، بالإضافة إلى التبعية الفكرية والتي قد تصل إلى حد العمالة.

3.2: الازدواجية: أي أن هذه الفئة تربطها بأوروبا أو شأج ثقافية أو دينية؛ بمعنى أنه قد تربت في مدارس غربية خاصة (دينية أو علمانية)، كما أن هذه الفئة تظن أن التراث القديم تراث إسلامي لا يرتبطون به دينيا أو ثقافيا، وهو ما أدى في نظر حسن حنفي إلى أن هذه الفئة وجدت نفسها تدعو للحديث وترك القديم (الإسلامي).

3/- التوفيق بين التراث والتجديد: ويعني أن هذا الموقف أخذ من القديم ما يتفق مع العصر، وإرجاع الجديد لمقاييس القديم، وهذا الموقف في نظر حسن حنفي موقف شرعي من الناحية النظرية؛ إلا أنه إذا تم وقف الأسلوب الخطابي، فإنه يقوم على احتمالين إما الغلبة للموقف الأول (الاكتفاء الذاتي للتراث)؛ أي الرجوع إلى القديم، أو الموقف الثاني (الاكتفاء الذاتي للجدید)؛ أي الرجوع إلى الجديد (حسن حنفي، 1992، ص 31)، وهو ما طرح ضرورة وجوب دراسة لتحديد الصلة الدقيقة بين التراث والتجديد بنظرة علمية بعيدة عن كل خطابة أو تحقيق مصلحة شخصية، وهو ما عكس المحاولات الجادة في هذا الطرح والتي تتمثل في ما يلي:

1.3: التجديد من الخارج: عن طريق انتقاء مذهب أوروبي حديث أو معاصر ثم قياس التراث عليه ورؤية هذا المذهب المنقول من تراثنا القديم.

2.3: التجديد من الداخل: عن طريق إبراز أهم الجوانب التقدمية في تراثنا القديم، وإبرازها لتلبية حاجات العصر من تقدم وتغير اجتماعي (حسن حنفي، 1992، ص 32)؛ وهنا يبين لنا حسن حنفي أن هذا الأمر أدى إلى بروز العديد من الاتجاهات العقلية في تراثنا القديم عند المعتزلة، أو نظريات الإسلام في الشورى...، ولكنها جميعا محاولات جزئية تبرز بعض الجوانب التقدمية الأصلية في تراثنا القديم، ولا تعطي صورة عامة للتراث كله وإعادة بنائه طبقا لحاجات العصر، في حين المطلوب تطويرها وتوسيعها حتى تكون هي روح العصر، وإعطاء نظرة متكاملة للتراث.

ونخلص هنا إلى أن إشكالية التراث عند حسن حنفي تركز على تجديد التراث القديم مع المحافظة على مكوناته، وطرحه يسعى في المقام الأول إلى التوفيق بين التراث والتجديد دون إهمال أحدهما، فموقفه

من التراث والتجديد ينطلق من إدراك الواقع ضمن نظرية علمية، لهذا نجد أن التراث عنده يمثل نظرية الواقع والتجديد يمثل إعادة فهم التراث من خلال رؤية الواقع ومكوناته.

4- إشكالية التراث عند جورج طرابيشي:

اعتبر جورج طرابيشي قضية التراث قضية يعيشها المثقف العربي، والتي باتت تحتل مكانها في الخطاب العربي المعاصر بصفتها قضية القضايا، لأن " الوعي بوجود " تراث " بمعنى " ثقافة الأسلاف " رأى نور عقب صدمة اللقاء مع الغرب، ومن جراء الاحتكاك بـ " ثقافة الآخر " (جورج طرابيشي 2006، ص 96)، وهنا يكمن الجرح الأنثروبولوجي(*) على حد تعبيره، والذي وصفه بالجرح المضاعف في الذات العربية، في قوله " في الحالة العربية، فإن هذا الجرح الأنثروبولوجي كان مضاعفا... أن تكتشف أن الغرب قد تقدم فيما ظلت هي ترواح مكانها " (جورج طرابيشي 2006، ص 96)، وعليه ازدواجية هذا الجرح تتمثل في شقين أولهما جرح اكتشاف تقدم الآخر لحظة صدمة اللقاء مع الغرب، وجرح ثاني اكتشاف تأخر الذات، ولتوضيح هذه الصدمة كما يسميها جورج طرابيشي في كتابه المرض بالغرب في قوله " ثمة شبه إجماع في الخطاب العربي المعاصر على توظيف لحظة احتكاك العالم العربي بالغرب بأنها كانت بمثابة صدمة، وقد تتعدد في الخطاب العربي المعاصر أوصاف هذه الصدمة: فهي تارة الصدمة الاستعمارية أو الكولونيالية أو الامبريالية، وتارة ثانية الصدمة الأوروبية أو الغربية وتارة ثالثة الصدمة الحضارية أو صدمة الحداثة، ولكن مهما تعددت الأوصاف فإن الموصوف يبقى واحدا: فالصدمة هي اليوم واحد من المفاهيم المحورية التي تحكم وعي الوعي العربي لذاته " (جورج طرابيشي، 2005، ص 15-16)، وعلى هذا الأساس فإن الخطاب العربي المعاصر يعتبر أن لحظة الاحتكاك واللقاء بثقافة الآخر أو بالعالم الغربي شكل صدمة للذات العربية، وهذه الصدمة كانت من جراء اكتشاف تقدم الآخر في مقابل تأخر الذات العربية.

وإذا ما تطرقنا لمفهوم التراث أو بالأحرى الوعي بوجود " تراث " كما أوضحه جورج طرابيشي، والذي كان جراء صدمة اللقاء بالثقافة الغربية، فهو يقول أن " التراث لم يفرض نفسه بمثل القوة التي فرض بها نفسه في الحقل التداولي للثقافة العربية الحديثة إلا على سبيل ردة الفعل ومحاوله واعية لتضميد ذلك الجرح (الأنثروبولوجي) " (جورج طرابيشي 2006، ص 96)، وردة الفعل هذه كانت من خلال توظيف مفهوم التراث، الذي كان بمثابة رد فعل ذات اكتشفت بأنها في مواجهة ثقافة الآخر، فيقول " رد فعل ثقافة ذات اكتشفت، في مواجهة حاضر ثقافة الآخر، أنها بلا حاضر، فارتدت نحو ماضيها لتصل ما انقطع " (جورج طرابيشي 2006، ص 96)، وهنا يوضح لنا جورج طرابيشي أن الجرح الأنثروبولوجي اعتمل على مستوى قطيعتين " قطيعة العرب عن حاضر الغرب، وقطيعة العرب عن ماضي العرب أنفسهم " (جورج طرابيشي 2006، ص 96)، وفي المقابل أيضا اقتحم ساحة الوعي العربي مفهومان تأسيسيان جديان: هما " الثقافة بالإحالة إلى الآخر، والتراث بالإحالة إلى الذات " (جورج طرابيشي 2006، ص 96)، وعلى هذا الأساس وبين هذين المفهومين لا يفتأ الوعي العربي منذ نحو قرنين من الزمن يتقلب ويتخبط، فكما يقول جورج طرابيشي " فهو يريد نفسه في ثقافة العصر بدون أن ينقطع مع تراثه، ويريد أن يحيي تراث ماضيه بدون أن يميت نفسه عن ثقافة العصر " (جورج طرابيشي 2006، ص 96)، وعليه فإن الوعي العربي يعيش صراع داخلي من خلال ما يشهده

من ضياع، فهو يريد الجمع بين أمرين يتخبط فيهما، أولاهما معاشة ثقافة العصر دون الانقطاع عن تراثه وثانيهما إحياء تراثه ليصل ما انقطع من ماضيها، وهذه المواجهة تمخضت من حاضر ثقافة الآخر.

5- مذبحة التراث النظرية عند جورج طرابيشي:

يشير جورج طرابيشي في كتابه "مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة"، إلى ثلاث تيارات (التيار الماركسي و التيار القومي، والتيار العلمي)، وهذه التيارات تندرج ضمن ما يسميه بالمذبحة النظرية للتراث، فإذا ما تطرقنا إلى المذبحة النظرية الأولى والتي يمثلها التيار الماركسي فإن الماركسين العرب من مثقفين وباحثين من أمثال توفيق سلوم وسمير أمين، الذين استمدوا رؤيتهم الماركسية للتراث من خلال ما دعا إليه لينين^(*) "فهو الذي "...دعا إلى التعاطي مع التراث بمنهج البضع والبترومن خلال مناقشاته في مطلع القرن مع الشعبويين الروس، فردا على هؤلاء الأخيرين الذين نصبوا أنفسهم حماة للتراث ورموا خصومهم من الماركسين بالعدمية التراثية، رد فلاديمير إيلتش بالتأكيد على أن الأتباع الروس لماركس أصدقاء وأوفياء هم أيضا للتراث، ولكن ليس لكل التراث، بل فقط لما هو حضاري وديمقراطي ومادي وعقلاني في التراث"(جورج طرابيشي، 1993، ص13-14)، وعليه فإن الإشكال المطروح هنا ماذا نأخذ وماذا نترك من تراث؟، فالماركسيون العرب الذين قاموا بإحياء موقف لينين أكدوا على " أن التراث ليس كلا واحدا متجانسا ليؤخذ كله أو يرمى كله، بل التراث حقل للصراع"(جورج طرابيشي، 1993، ص14)، وعلى هذا الأساس ومن خلال هذا التصور الماركسي للتراث، أول ما نلاحظه من هذه الرؤية هي النزعة الانتقائية أو حتمية التشطير بمعنى توظيف جزء من التراث على الجزء الآخر، وأن الشيء الذي تهتم به هذه النزعة ليس الحقيقة التاريخية للتراث بقدر ما يهتما قابلية التوظيف في الصراع الإيديولوجي، وهي بطبيعة الحال قابلية جزئية.

أما فيما يخص المذبحة النظرية الثانية فيمثلها التيار القومي، وهو بدوره ينقسم إلى نموذجين، النموذج القومي العلماني والنموذج القومي الإسلامي، فإذا كان التيار الماركسي بوجه عام يسعى إلى الفرز الطبقي من خلال تشطير التراث بالأخذ كل ما هو عقلاني وديمقراطي في التراث، بمعنى أن التيار الماركسي يتحرى عن " النقاء الطبقي"، في حين نجد التيار القومي يسعى إلى " النقاء القومي" في التراث، وهذا ما أشار إليه جورج طرابيشي في قوله "...فالقومي يريد بدوره إجمالا، مثله مثل الماركسي، أن يخضع جسد التراث لعملية جراحية، ولكن الأورام السرطانية التي يتغيا استئصالها تصنف من قبله تحت عنوان "الانحطاط"...وهي ناجمة في نظره عن نشاط مجاوز لحده للأجناس " الغريبة" والعناصر " الدخيلة" أكثر منها عن عمل القوى " الرجعية" والطبقات " الاستغلالية" (جورج طرابيشي، 1993، ص21)، وعليه فإن التيار القومي على غرار ما جاء به التيار الماركسي هو الآخر يود إخضاع التراث إلى دراسة عميقة ودقيقة، وذلك باستئصال كل ما هو غريب ودخيل، والذي يندرج ضمن مسمى الانحطاط، وهذا الموقف في مجمله هو موقف التيار القومي بشكل عام، لكن إذا تعمقنا أكثر في هذا الموقف نجده بوجه خاص ينقسم إلى نموذجين " النموذج العلماني و "النموذج الإسلامي" ولكل نموذج وجهة نظر خاصة به في إشكالية التراث.

نوضح أن التيار القومي بنموذجه " العلماني " عند زكي الأرسوزي (***)، والذي يبين لنا العوامل الدخيلة في التراث والتي كانت سببا في الانحطاط العربي، فيقول "...وأحاق الدخلاء بنيان أمتنا بسموم أفرزتها قرائحهم المتردية...لما طغى الأغيار على بيئتنا انحرف قوام انسانيتنا وتجوّفت مؤسساتنا من جراء الانحراف حتى جفّ فيها نسق الحياة، وتحول تراثنا إذ ذاك إلى ظلف يعوق الآمال عن الانطلاق، وتردّى مجتمعنا إلى مستنقع تعيث فيه الأنانية"(جورج طرابيشي، 1993، ص22-23)، وعلى هذا الأساس يؤكد زكي الأرسوزي أن العامل الأساسي لانحطاط التراث العربي يعود إلى طغيان ما يسميه بالدخلاء والأغيار والهجناء، فهو يعتبرهم السبب في انحراف قوام الإنسانية العربية وتعثر التراث العربي وانحطاطه، فهذا التيار يدعو إلى العودة " إلى النشأة البكر، إلى بداءة اللغة في الطور البطولي الجاهلي السابق للإسلام "(جورج طرابيشي، 1993، ص28).

أما بالنسبة إلى التيار القومي الإسلامي عند محمد عمارة، فيقوم على "إحياء التراث" وجعله دافع لتقدم، في قوله " سلاحا في معركة تقدمنا وانعتاقنا من قيود التخلف والاستبداد...أن تجعل هذا التراث كتيبة من كتائب حربها ضد التخلف والجمود، وتيارا ساريا في ضمير هذه الأمة يربطها بأمجد صفحات تاريخها وحضارتها، يذكي فيها إحساس الأصالة والمجد، بقدر ما يدفع خطواتها على الطريق إلى الأمام"(جورج طرابيشي، 1993، ص63-64)، وعلى هذا الأساس فإن ما يدعو إليه التيار القومي الإسلامي هو إحياء التراث بما يخدم الأمة العربية الإسلامية واعتبره سلاحا في معركتها ضد التخلف والجمود وأن إحياء التراث يكون في خدمة قوى التقدم، وذلك من خلال إحياء الجوانب العلمية المتقدمة والثورية في تراثنا.

نشير الآن إلى المذبحة النظرية الثالثة والتي يمثلها التيار العلمي، وهو بدوره ينقسم إلى نموذجين (النموذج العلمي البراغماتي والنموذج العلمي الاستمولوجي)، ولقد اختار جورج طرابيشي زكي نجيب محمود كعينة للنموذج العلمي البراغماتي، وذلك استنادا لكتابه " تجديد الفكر العربي"، يرى زكي نجيب محمود أن قيمة التراث " هي في كونه مجموعة من وسائل تقنية، يمكن أن نأخذها عن السلف لنستخدمها اليوم ونحن آمنون إلى ما استحدثناه من طرائق جديدة"(جورج طرابيشي، 1993، ص63-64)، وهذه المقولة استعن بها زكي نجيب محمود من هربرت ريد لفهم التراث، فيقول "إني وجدت في هذه العبارة مفتاحا للموقف كله، فماذا عسانا أن نأخذ من تراث الأقدمين؟ الجواب هو: نأخذ من تراث الأقدمين ما نستطيع تطبيقه اليوم تطبيقيا عمليا، فيضاف إلى الطرائق الجديدة المستحدثة. فكل طريقة للعمل اصطنعها الأقدمون وجاءت طريقة أنجح منها، كان لابد من اطراح الطريقة القديمة ووضعها على رف الماضي الذي لا يعني به إلا المؤرخون. بعبارة أخرى: إن الثقافة- ثقافة الأقدمين أو المعاصرين - وهي طرائق عيش، فإذا كان عند أسلافنا طريقة تفيدنا في معاشنا الراهن، أخذناها وكان هو الجانب الذي نحياه من التراث، وأما ما لا ينفع لا نفعا عمليا تطبيقيا فهو الذي نتركه غير آسفين، وكذلك نقف الوقفة نفسها بالنسبة إلى ثقافة معاصرنا من أبناء أوروبا وأمريكا"(جورج طرابيشي، 1993، ص64).

وما نلاحظه من مقولة زكي نجيب محمود هو تطبيق معيار العلمي العملي على التراث وأخذ ما ينفع نفعا عمليا وترك ما لا ينفع من التراث، وهنا أيضا تظهر النزعة التشطيرية عنده من خلال إحياء الجزء النافع من التراث وترك الجزء الآخر أما بالنسبة للنموذج الاستمولوجي، والذي اختار له جورج طرابيشي محمد عابد

الجابري من خلال مشروعه "نقد العقل العربي"، وفي بداية طرحنا لإشكالية التراث عند الجابري، فالنقد الذي وجه له جورج طرابيشي فيما يخص دارسته للتراث العربي، هو عدم استشهاده بالشعر العربي كون الحضارة العربية هي حضارة شعر في قوله "فعلى الرغم من أن الحضارة العربية أنتجها العقل العربي، أو التي أنتجت هذا العقل كانت حضارة شعر بقدر ما كانت - على الأقل حضارة فقه- فإن الجابري لا يستشهد أبداً، في تحليله لهذا العقل تكويناً وبنية شعر واحد" (جورج طرابيشي، 1993، ص 80)، فجورج طرابيشي ومن خلال هذا النقد يتساءل كيف لنا نقد العقل العربي أن يغفل أو يتناسى عن ذكر أحد أهم ركائز تراث الحضارة العربية ألا وهو الشعر العربي فيقول "مع أن الكيفية التي يتصدى بها عقل من العقول الحضارية لكتابة تاريخه تعد جزءاً من هذا العقل وتجلياً من تجلياته ودليلاً كشافاً لنمط تفكيره لذاته، فإن الجابري لا يفكر إطلاقاً بتفكيك الآلية التي كتب بها التاريخ العربي نفسه، ولا باستقراء آلية اشتغال العقل العربي من خلالها" (جورج طرابيشي، 1993، ص 81).

وعلى هذا الأساس فإن محمد عابد الجابري بنقده للعقل العربي واستبعاده لمقومات التراث العربي كشعر ونثر، يظهر على دارسته النزعة الانتقائية، وهذا ما يوضحه جورج طرابيشي في قوله "...إن يكن اختزال العقل إلى العقل العقلي قد تأتى، في مشروع الجابري لنقد العقل العربي، إلى أن تستبعد من حقل التحليل الاستمولوجي قطاعات بكاملها من التراث، وتحديدًا تلك التي تنتمي إلى دائرة الشعر والنثر الفني والعلمي، فإن هذا الاستبعاد لا يعادل تشطيرواً منظراً له للتراث، بل ضرب من تحصيل حاصل. وبالمقابل إن النزعة التشطيرية لا تسفر عن نفسها بجلاء وشطط لدى الجابري" (جورج طرابيشي، 1993، ص 83)، وللإشارة فإن هذه الانتقادات التي وجهها جورج طرابيشي لمحمد عابد الجابري في كتابه مذبحة التراث كانت البادرة لبروز مشروعه نقد العقل العربي، وهذا من خلال قوله "وهذا الحكم الأخير الذي يصدره صاحب مشروع نقد العقل العربي يضعنا أمام مهمة أخرى تجاوز قضية التراث ومذبحته في الثقافة العربية المعاصرة، وقد يكون في استطاعتنا تحديدها الآن بأنها نقد نقد العقل العربي، مشروعنا القادم" (جورج طرابيشي، 1993، ص 139).

ومن خلال ما تم الإشارة إليه فإن جورج طرابيشي حين يتطرق إلى مأزق الحداثة العربية بما فيها إشكالية التراث والثقافة يرجعها إلى الأسباب التالية، فيقول "يكمن مأزق الحداثة العربية ومدخل متاهتها. فالثقافة العربية الحديثة التي قادت نفسها بنفسها إلى طريق مسدود، لأنها- وهي المحكومة بالجرح النرجسي- ما أمكن لها أن تطور موقفها من ذاتها من موقف دفاعي (Apologétique) إلى موقف نقدي. ولا شك أن عصر النهضة العربي كان أنجز في مطالع القرن العشرين تقدماً مرموقاً على طريق نقد الذات. ولكن طغيان الايديولوجيا في عصر الثورة، الذي نصب نفسه قيماً على النهضة وقاد نفسه وإياها في خاتمة المطاف إلى الفشل" (جورج طرابيشي، 2000، ص 83)، وهنا إلغاء الموقف النقدي للذات العربية هو الذي أدخلها في مأزق الحداثة، وهذا من خلال إلغاء المشروع النقدي وحل محله مقولة التعبئة، وهذا ما يشير إليه جورج طرابيشي في قوله "... طغيان الايديولوجيا في عصر الثورة...ألغى المشروع النقدي من أساسه ووضع نفسه- بل جندها

بالأحرى- تحت راية مقولة جديدة: هي التعبئة، مع كل ما تعنيه التعبئة، بمفهومها العسكري والجماهيري معا، من شحذ للانتماء الجماعي، إنامة للحس النقدي" (جورج طرابيشي، 2000، ص83).

6- خاتمة:

نخلص في الأخير ومن خلال ما تم تنويه إليه آنفا، أن إشكالية التراث في الثقافة العربية المعاصرة أخذت حيزا مهما في النقد الثقافي العربي المعاصر، وهذا من خلال ما أشار إليه جورج طرابيشي في كتابه مذبحة التراث، الذي تطرق فيه إلى الباحثين المشتغلين على التراث، وسوف نصنفهم على النحو التالي:

1/- التيار الماركسي:

أ/- توفيق سلوم من خلال مؤلفه "نحو رؤية ماركسية للتراث"

ب/- سمير أمين في كتابه "إشكالية الديمقراطية في الوطن العربي- في أزمة المجتمع العربي"

2/- التيار القومي:

أ/- النموذج القومي العلماني: زكي الأرسوزي "المؤلفات الكاملة"

ب/- النموذج القومي الإسلامي: محمد عمارة "نظرية جديدة للتراث"

3/- التيار العلمي:

أ/- النموذج العلمي البراغماتي: زكي نجيب محمود "تجديد الفكر العربي"

ب/- النموذج العلمي الاستمولوجي: محمد عابد الجابري "مشروعه نقد العقل العربي"

وهذه التيارات التي سماها جورج طرابيشي بالمذبحة النظرية للتراث، تتبلور في الموقف التشطيري للتراث وتقسيمه، وذلك من خلال أخذ الجزء المفيد من التراث والاستغناء عن الجزء الآخر وتجاوزه، بمعنى أن هذه التيارات ذات نزعة تشطيرية انتقائية، كما أن الأزمة التي يعيشها التراث العربي والتي خلقت جرح نرجسي أنثربولوجي كانت جراء صدمة اللقاء مع الثقافة الغربية واكتشاف تقدم الآخر وتأخر الذات العربية، بالإضافة إلى أن مآزق الحداثة في الذات العربية كان بسبب الطغيان الإيديولوجي في عصر الثورة وإلغاء المشروع النقدي.

7- النتائج:

وفي الأخير أفضى البحث على جملة من الاستنتاجات التي أفرزتها الرؤى المختلفة والمتباينة في موضوع التراث بمختلف مشاربها، نوردتها على النحو التالي:

- إن محاولة دراسة إشكالية التراث في النقد العربي المعاصر ركزت على نقد وتفكيك مكونات التراث العربي.

- طغيان هاجس التجديد والحدثة ومواكبة الثقافة الغربية.

- السعي لتوظيف والاستعانة بالمناهج الحديثة في دراسة التراث (التفكير المنهجي - المنهج التفكيكي - النقد العلمي والعمل - النقد الاستمولوجي...).

- السعي لقراءة النصوص التراثية والإرث الحضاري العربي الإسلامي قراءة جادة ومغايرة، وهذا من خلال تطبيق المناهج التي أشرنا إليها آنفا.

- دراسة التراث دراسة تحليلية، وذلك من خلال تطبيق المقاربات العلمية ونتائجها المرتبطة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية بمختلف فروعها (المقاربات اللغوية - السيوسولوجية - الأنثربولوجية - التاريخية - السيكلوجية).

8. هوامش:

(*) الجرح الأنثربولوجي: هو الجرح النرجسي الرابع، أضافه جورج طرابيشي للجروح النرجسية الثلاث التي ذكرها فرويد في مقاله له نشره عام 1917، تحت عنوان " صعوبة أمام التحليل النفسي" تحدث فيه عن جرح نرجسي فرويد من نوعه يصح تسميته " الجرح النرجسي الكوني"، وهذا الجرح نشأ عن الازلال الذي تعرضت له كبرياء البشرية وعزة نفسها الكونية ثلاث مرات على التوالي من جراء التقدم العلم على التوالي كشوفه، أول تلك الجروح التي منيت بها النرجسية الكونية الجرح الكسمولوجي، وهو الجرح الذي أحدثته نظرية كوبرنيكوس، وهي أن الأرض هي التي تدور حول الشمس، وليست الشمس هي التي تدور حول الأرض، الجرح الثاني وهو الجرح البيولوجي، وهو جرح تسببت به نظرية داروين، فالإنسان الذي طالما افتخروا بها بأصله السماوي وتصور نفسه مخلوقا من روح الله وعلى صورته ومثاله، وجد ذاته مكرها، تحت ضغط البرهان العلمي، على الاعتراف بأن = السلالة البيولوجية التي ينحدر منها هي السلالة الحيوانية، أما الجرح الثالث فهو الجرح السيكلولوجي، وقد كان من فعل مؤسس علم نفس فرويد نفسه، فالتحليل النفسي هو الآخر نظرية انقلابية، لأن النفس لم تعد مع فرويد مركز ذاتها، كما أن الإنسان لطالما تباهى بحياته ملكة الوعي، كثيرا ما تكون متعينة بالعمق اللاشعوري أكثر منها بالسطح الشعوري، وهنا يضيف جورج طرابيشي الجرح النرجسي الرابع ويسميه الجرح الأنثربولوجي، فيقول " ... إلى هذه الجروح الثلاثة نضيف نحن جرحا نرجسيا رابعا، لا نتردد في أن نصفه بأنه من طبيعة أنثربولوجية"، للاطلاع أكثر (أنظر: جورج طرابيشي: هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحدثة والممانعة العربية، ص 93-94، وأنظر أيضا: جورج طرابيشي: مذبح التراث، ص 8، وأنظر أيضا: جورج طرابيشي: من النهضة إلى الردة، ص 79).

(**): لينين فلاديمير ايليتش Lénine Vladimir Ilytch (1870-1924) سياسي ومنظر ثوري روسي، ومؤسس البلشفية وفيلسوفها الأبرز، من مؤلفاته الفلسفة المادية والنقدية التجريبية (1907)، (أنظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص 611).

(*) (***): زكي الأرسوزي Arsuzi Zaki (1900-1968) فيلسوف ومفكر عربي نهضوي، من مؤلفاته (العبقريّة العربية في لسانها- مشاكلنا القومية- الأمة العربية- اللسان العربي- الجمهورية المثلى...)، (أنظر: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص 58-59).

قائمة المصادر والمراجع :

1. ابن منظور، (د.ت)، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة- مصر.
2. أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (1999)، تاج اللغة وصحاح اللغة، ج1، دار الكتاب العلمية، بيروت- لبنان.
3. جورج طرابيشي، (2005)، المرض بالغرب – التحليل النفسي لعصاب جماعي عربي، دار البئر للنشر والتوزيع، ط1، دمشق- سوريا.
4. جورج طرابيشي، (1993)، مذبحه التراث في الثقافة العربية المعاصرة، دار الساق، ط1، بيروت- لبنان.
5. جورج طرابيشي، (2006)، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، ط3، بيروت- لبنان.
6. جورج طرابيشي، (2000)، من النهضة إلى الردّة- تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساق، ط1، بيروت- لبنان.
7. جورج طرابيشي، (2006)، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة، دار الساق، ط1، بيروت- بنان.
8. حسن حنفي، (1992)، التراث والتجديد- موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط4، بيروت- لبنان.
9. رمضان الصباغ، (2002)، في نقد الشعر العربي المعاصر- دراسة جمالية، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية- مصر.
10. مفهوم التراث أنظر الرابط التالي: <https://sotor.com/2020/01/22>